وقائع مؤتمر الأدباء العرب الرابع عشر

اقيم في الجزائر العاصمة بين الثالث والسابع من آذار ١٩٨٤ المؤتمر العام الرابع عشر للأدباء والكتاب العرب ومهرجان الشعر.

وقد افتتح المؤتمر في قاعة المؤتمرات في قصر الأمم الاستاذ بو علام باقي عضو المكتب السياسي وزير العدل بالكلمة التالية:

أيها السادة والسيدات:

يسعدني أن أفتتح مؤتمركم باسم القيادة السياسية وعلى رأسها الاخ الشاذلي بن جديد رئيس الجمهورية والامين العام للحزب، وانها لمناسبة سعيدة هذه التي تجمعنا بالكتاب والادباء العرب على أرض عاصمة بلادنا التي تعتز بوجودهم وتفتخر باحتضانها لمؤتمرهم، فمرحبا بكم أيها الاشقاء بين اخوانكم وفي بلدكم حللتم أهلاً ونزلتم سهلا.

إن مؤتمركم الرابع عشر الذي تعقدونه ابتداء من اليوم والذي يتعرض فيما يتعرض الى موضوع الادب العربي بين الثقافة والاعلام تعلق عليه جماهيرنا بالجزائر أكثر من كل بقعة من الوطن العربي آمالا كبيرة وتنتظر منه الحلول الناجعة لمشاغلها سواء في ميدان الثقافة أو في ميدان الاعلام وهما ميدانان لا يزالان عرضة لغزو أجنبي يقصد الهيمنة على الثقافة والاعلام وتسخيرهما لخدمة مصالحه ويريد التأثير على التقاليد والقيم الوطنية بما يعرضها للمسخ والتبديل، وان الوسائل المادية والبشرية التي يسخرها في هذا السبيل لجديرة بأن تمكنه من بلوغ أهدافه لو لم يكن لها كتابنا وأدباؤنا بالمرصاد، وان الجزائر التي عرفت الغزو الاستعماري بكل ما تضمنه من بلايا ورزايا ومحاولات التجريد والتغريب طيلة قرن وربع قرن لم يبق شعبها مكتوف الايدي أمام هذه المحاولات التي كان هدفها القضاء على مقومات شخصيته والذوبان في شخصيته والذوبان في شخصية مغتصبيه بل دفعها بكل ما كان لديه من قوة وقاومها بكل ما كان يملك من سلاح الى أن خرج من المعركة منتصرا وبالمحافظة على أصالته ظافرا، وهكذا رأينا آية السيف تحميها آية القلم منذ وطئت أقدام المستعمرين القذرة هذه الارض الطاهرة ولم تغن الاستعمار جحافله من المعلمين والرهبان المبشرين الذين كان يعوّل عليهم في استيطانه الفكري فلم تلق مكانا بالاذهان دروسه التي كان يلقنها للاطفال الجزائريين بمدارسه من أنهم من أحفاد الغوليين وان وطنهم الأم هو فرنسا ولغتهم هي الفرنسية ولم تثبت أمام الحق المبين أحلامه في اقبال الأم على التجنس أو استعداد أفرادها للتفرنس بكل ما يطويه من تنصير وتهجير رغم كل ما بذلته لمطات الاحتلال من أساليب المحاربة للغة والدين وتحريف التاريخ واقرار الدخيل من العادات والسلوكات ولم تغن الاستعمار جيوشه الجرارة ولا قوانينه الخاصة الجائرة التي كان يعتمد عليها في ارهابه وقهره للعلماء والكتاب والادباء وكل المفكرين الذين يرجع اليهم الفضل في بقاء الشعب الجزائري متمسكا بديه متشبثا بعروبته غيورا على لغته غير تارك لقيمه فهم الذين كانوا يطلقون ألسنتهم حدادا في النوادي ويرسلون أقلامهم سهاما على الأعادي غير مبالين بأذى هو لاحقهم لا محالة ولا بسجن هم داخلوه قصر الزمن أم طال. انهم حقا من أبناء الجزائر البررة الذين يذكرهم التاريخ من بين الخالدين وان ننس لا ننس تلك القصائد الحماسية التي واكبت المسيرة الثورية من أول عهدها مع شعراء الامير عبد القادر الفصحاء منهم وأصحاب الملحون الى أعز أيامها مع أبطال معركة التحرير، ولا ننسى تلك المقالات المؤثرة التي تميزت بها المقاومة الجزائرية في مرحلتها السياسية لا سيما بعد الثلاثينات من هذا القرن والتي خرق صداها الحدود الخانقة فبلغ رسالة الجزائر المجاهدة الى العالم المتفرج على مأساتها، كما لا ننسى تلك المسرحيات المعبرة التي برع في تأليفها كتاب ناشئون وفي تمثيلها فتية ملهمون، ولا يزال المثقفون والادباء في الجزائر يسيرون على درب النضال من أجل بناء الذات في مدلولها الرفيع وفي محيطها الاشمل ويسيرون على درب النضال من أجل النهوض بالانسان الجزائري والعربي، ايمانا منهم بأنه لا معنى للاستقلال السياسي ولا الاقتصادي اذا لم يكن مصحوبا بالاستقلال الثقافي، ومهما كانت تبعية ذلك الاستقلال تقليدا وغصبا أو اغتراراً بالرواسب والمخلفات فالدفع الثوري في الميدان الثقافي يساهم دون شك في رفع المستوى الفكري للشعب وبالتالي يدعم الشروط النفسانية والايديولوجية والسياسية دعما للاستقلال الوطني والتطور الاجتماعي والاقتصادي.

انكم تعلمون ان الاستعمار الجديد غيّر منهجه، فلم يعد يستعمل

نفس الاساليب التي اعتمدها من قبل عند الاحتلال العسكري فاختار منهجية الغزو الثقافي ليستولي على عقول الشباب وتفكيرهم، ومن هنا تتعين عظمة المهمة الملقاة على عاتق المثقف العربي، والاديب العربي، لا بوصفه عاملا من عمال الفكر فحسب وانما بصفته فردا حرا خلاقا يتمتع ببصيرة تنفذ الى جوهر الامة عبر تراثها، وتخترق حجب الغيب عبر مستقبلها فيقاوم هذا الغزو بكل وسائل الدفاع.

والثقافة ليست في نظرنا بناء مجردا منعزلا عن الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بل هي كل لا يتجزأ، والثقافة الصحيحة التي ننشدها لأمتنا العربية هي التي تتبنى القيم الاصيلة وتدافع عنها كما تدافع عن المفاهيم التي تعمل على ايجاد وعي منظم عميق، يتشكل في أعماق ووجدان الكتاب والادباء والمثقفين ويحرص على توفير مقومات الشخصية وحفظ التراث وتعزيز كيان الأمة، وتقوية الأوامر الاجتماعية ولا نشك في أن كتابنا وأدباءنا سيتحملون هذه المسؤولية بكل فخر واعتزاز.

ان دور الأديب العربي يتميز بكونه مواطنا سياسيا ملتزما بالاهداف المرحلية الزمنية لأمته ووطنه، وبكونه فردا خلاقا له قدرته على الاحتفاظ بحريته الداخلية والاستجابة لتطلعات الأمة عبر مزاجها وتراثها، واننا نعلم ان الحضارة غير محصورة على منطقة معينة من العالم، فلها طابع العالمية والشمولية وتسعى البشرية اليوم لتحقيق الوحدة في التنوع والعالم العربي جزء من الكل المتكامل وعليه أن يحافظ على خصائصه داخل هذا لكل وعلينا نحن أن نعمل جميعا بجد ونشاط لنخدم ثقافاتنا الوطنية بطريقة ايجابية وبذلك فقط نضمن المستقبل الزاهر للاجيال الصاعدة ونضمن التفاهم بين المثقفين بالحوار وتكون في مستوى المسؤولية التاريخية التي نضطلع بها أمام الله والتاريخ.

ان الكتاب والأدباء الجزائريين لم يتركوا الكثير من المؤلفات في فترة ما قبل الاستقلال لانهم شغلوا أنفسهم بما كان يمليه عليهم واجبهم النضالي، ان حياتهم كانت كفاحا وأقلامهم كانت سلاحا فتناولوا من الكتابة ما كان معبرا ومن الخطابة ما كان مؤثرا ناهيكم أن إمام النهضة الاصلاحية بالجزائر الاستاذ الإمام عبد الحميد بن باديس لم يترك مكتوبا الا مقالاته بالشهاب وهو الذي تخرّج على يده الكثير من أعضاء جمعية العلماء وأبنائها، وهكذا كان الامر مع صاحبه الشيخ البشير الابراهيمي الذي يشهد له العرب قاطبة بالمكانة والباع حيث لم يترك محفوظا الا مقالاته بالبصائر، وقد جمعت بعد الاستقلال في كتاب يعرف بعيون البصائر ان علماءنا وأدباءنا كانوا ملتزمين مع الثورة أعطوها كل ما كانوا يملكون من ملكة فعكفوا حياتهم على خدمتها وتفانوا في نصرتها ولم ينصرفوا الى الكتابة والتأليف الا بعد حصول الجزائر على استقلالها واسترجاعها سيادتها وسالف مجدها ضامين أقلامهم الى أقلام اخوانهم بالوطن العربي الكبير فاسترجعت اللغة العربية مكانتها بعدما كانت ممنوعة محرما على أهلها تعلمها وتعليمها، وتربع الادب العربي في بلادنا على عرشه الذي زحزحه عنه الاستعمار وبدأت المؤلفات العربية اللسان بمختلف أنواعها تأخذ مكانها على رفوف المكتبات وتعددت الصحف وتنوعت المجلات وأصبح القارىء لا يشكو من الفراغ الثقافي بفضل ما بذلته الدولة في هذا الميدان وما سخرته من وسائل لتشجيع الانتاج الفكري والثقافي والفني حتى انها اعتبرت الكتاب من المواد الأساسية التي يستفيد سعرها بالدعم من الميزانية كي يصبح في متناول الجميع وان القيادة السياسية وعلى رأسها الاخ الشاذلي بن جديد رئيس الجمهورية والامين العام للحزب لشاعرة بالدور المتميز الذي يعود للثقافة والاعلام في القضاء على كل تبعية ثقافية، وهذا ما دفعها الى أن تعرض ملف السياسة الثقافية على اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني التي حددت أبعادها بما لا يترك مجالا للغموض وأقدمت على تشجيع كل النشاطات الثقافية بفتح دور للثقافة عبر مختلف الولايات لا في عواصمها فحسب بل حتى في بعض مدنها وقراها وبتزويد كل بلدية بمكتبة تكون مفتوحة أمام الراغبين من الشباب وغيرهم الى جانب تعميم شبكة الاعلام عبر كل المناطق القريبة والنائية بوسائله المقروءة والمسموعة والمرئية فساعد ذلك على رفع المستوى الثقافي لدى السكان وان المناظرات التي تقام بين الثانويات والتي يبثها الاعلام على أمواجه المسموعة وشاشته المرئية طوال السنة الدراسية مرة في كل أسبوع وما يقرأ على أمواج الاثير من أقلام الناشئين أو ينقل بمجلة الثقافة التي تصدرها وزارة الثقافة أو ما يقرأ على صفحات الجرائد والمجلات الجزائرية لأكبر دليل على أن المجتمع الجزائري خاصة فئته الشابة قد خرج من التخلف الذي كان مفروضا عليه زمن الاستعمار وشق طريقة الى الامام في ميدان العرفان على سبيل العموم وفي الميدان الادبي على سبيل الخصوص.

أيها السادة والسيدات،

انكم حاملو اللواء ورافعو المشعل والمدافعون عن قضايا العرب المصيرية، بكم يعلو شأن الامة العربية وبكم تتم رسالة لغتها القومية وان نضالكم في هذا الميدان ليس بأقل شرفا وقدرا من المقاتل بسلاحه في ساحة القتال فواصلوا نضالكم واجمعوا جهودكم ولتكن غايتكم تبليغ الرسالة الادبية بالدفاع عن القضية المصيرية جيلا بعد جيل.

ان مؤتمركم الرابع عشر ينعقد والعالم العربي يمر بأزمة معقدة ويشهد تغيرات وانعطافات خطيرة وبالغة الأهمية وقضاياه المصيرية لا تزال مطروحة فقضية فلسطين المغصوبة لا يزال جرحها يدمي قلب كل عربي والامبريالية العالمية تقدم دعما كبيرا للصهاينة على مرأى ومسمع من العالم، وتكتفي الهيئات الدولية بالادانة وهل تنفع الادانة لقوم يغلب على طبعهم التعنت والاحتقار لكل ما هو عربي، ولو ان هذه المنظمات وقفت بحزم بجانب الحق والعدل لتغيرت الأمور في المشرق العربي، ولكن في هذه القضية وفي قضايا عربية أخرى ينبغي أن نعتمد على أنفسنا وعلى ثروتنا وطاقاتنا لفرض الحلول المناسبة لنا وعندئذ يسمع قولنا ونؤخذ في الحسبان.

كلمة رئيس اتحاد الكتّاب الجزائريين

وألقى الدكتور محمد العربي الزبيري رئيس اتحاد الكتاب الجزائريين الكلمة التالية:

إنه لشرف عظيم بالنسبة لاتحاد الكتّاب الجزائريين أن يقع عليه اختياركم لاستضافة المؤتمر الرابع عشر ومهرجان الشعر السادس عشر، ويشرفني، شخصياً، أن أنوب عن جنود القلم ومناضلي الكلمة الحرة بالجزائر، فأتوجه اليكم جميعا بالتحية الخالصة، وأرحب بكم في بلدكم متمنياً لكم إقامة طيبة تمكّنكم، زيادة على تأدية الواجب الذي جئتم لأجله، من تمتين الصلة وتوثيق العلاقة مع أشقائكم، ومن التعرّف عن كثب، على منجزات ثورة نوفمبر العظيمة في جميع المجالات. اما الذين شاركوا في المؤتمر العاشر، فان تواجدهم هذه المرة بيننا سيسمح لهم بتقييم الخطوات الجديدة التي قطعناها في حوالي عشر سنوات.

وإذ أحييكم، فإنني، كذلك، أشكر كل واحد منكم جزيل الشكر على تحمّله متاعب السفر، وتضحيته بالوقت الثمين والمشاغل اليومية الخاصة في سبيل المشاركة الفعلية في معالجة القضايا الهامة التي يطرحها جدول أعمالنا، والتي هي على صلة وثيقة بحياة الامة العربية الجريحة في أكثر من مكان وعلى كثير من الأصعدة.

نعم، نحن لا نعتقد ان من السهل على الانسان العربي الواعي ان يدرس اي موضوع يتعلق بوجوده الخاص او بالمحيط الذي يعيش فيه دون التعرّض ولو بإيجاز، الى الوضع المزري المفروض على هذا الذي نسميه تجاوزاً او تطاولاً، بالوطن العربي.

فمن هذا المنطلق، أستسمحكم لأذكر بأن كل مناقشة لموقع الأدب العربي من الثقافة والاعلام لن تكون كاملة الا اذا اخذنا بعين الاعتبار واقع الفكر والايديولوجية في كافة البلاد العربية، ذلك، ان الادب اذا كان هو الذي يفرز الفكر الخلاق الذي يضع الايديولوجيات، فإن هذه الأخيرة، عندما تكون مهيمنة، هي التي توجّه وتؤثّر وتوفّر للفكر مجالات الازدهار والتطور. ومن المعلوم، كذلك، ان الثقافة والاعلام يخضعان للسياسة التي توضع لها من طرف الأنظمة الحاكمة وفقا لإيديولوجية معينة.

وعلى هذا الأساس، يبدو لنا أن المشكل الرئيسي يكمن في مدى قدرة المثقف العربي، بصفة عامة، والمفكر والاديب، بصفة خاصة، على التأثير الفاعل في الايديولوجية المهيمنة، لأن التادي في الاعتقاد بان السياسة شيء والادب شيء آخر لن يقودنا الا الى خلق نوع جديد من ادب القصور الذي يهمل الجماهير الواسعة وما تعانيه من هموم ومشاكل او يجعل منها ملهاة لطبقة صغيرة افقدها المال والجهل كل حسّ وطني.

وبعبارة اكثر وضوحا، فان الادباء والكتاب العرب يجب ان يخلقوا لانفسهم الظروف الموضوعية التي تمكنهم من احتلال مواقع الصدارة، اي مناصب الحل والربط في كافة الانظمة العربية، حتى يتمكنوا من الاسهام حقيقة في بناء مستقبل الامة العربية الذي نريده خالصا من كل انواع الاستبداد والاستغلال.

ان الاديب الحقيقي والمفكر الاصيل قادران على القيام بالدور الريادي في عملية تكوين الجماهير ورفع مستواها الثقافي والسياسي وفي تعبئتها، بعد ذلك، من اجل صنع المعجزات. انهما يشكلان همزة الوصل بين القواعد الشعبية وحكامها.

وان هذه الوظيفة الخطيرة لا يمكن تأديتها الا اذا عرفنا كيف نكسب ثقة العمال والفلاحين والشباب. ومعلوم أن ذلك موقوف على مدى تحلّينا بمجموعة من الخصال أهمُّها الشجاعة والصدق في التعبير عن طموحاتهم من جهة وفي ترجمة سياساتنا التنموية من جهة ثانية. ان علينا ان نتخلص من عقدة ما يسمى بأدب السلطة، وان ندرك بان الانفصال عن هذه الاخيرة مثل الانفصال عن الجماهير لا يساعد الاديب على القيام برسالته على اكمل وجه. ولكن التواجد هنا وهناك في آن واحد، هو وحده الذي يفسح المجال لخوض الثورة الثقافية التي ما احوجنا اليها لتكوين انسان عربي جديد قادر على مواجهة التحدي في جميع الميادين.

وهناك عقدة اخرى علينا التخلص منها وتتمثل في توزيع لصاقات الرجعية والتقدمية على جبين هذا او ذاك من كتابنا وادبائنا، وذلك في الوقت الذي نحتاج فيه فقط الى توحيد قوانا من اجل التقدم في طريق التنمية الشاملة لان حالة التخلف التي توجد عليها جماهيرنا لا يقضي عليها الا بتضافر الجهود ولأن وضع الأمة العربية في غنى عن كل المشاكل الهامشية وان معالجة موضوع الأدب العربي بين الثقافة والاعلام ينبغي ان تشكل بالنسبة الينا إطاراً واسعاً يساعدنا على اعادة النظر في كثير من المصطلحات والمفاهيم وعلى التأمل في صيغة جديدة لمواجهة الاستلاب الفكري الذي يمنعنا من وضع الاستراتيجية العربية القادرة على التصدي بنجاح للغزو الامبريالي والصهيوني في ميداني الثقافة والاعلام.

إن انعقاد مؤتمرنا هذا يأتي في فترة حرجة من تاريخ الامة العربية، ومن غير المعقول اطلاقا ان يجتمع ممثلو طليعة المفكرين والمبدعين العرب: فيتحاوروا ويتناقشوا طيلة اربعة ايام كاملة دون ان يلتفتوا الى قضايا الساعة التي تهز الساحة العربية، اي دون ان يتعرضوا لقضية فلسطين وما يجري في لبنان والاراضي العربية وفي الصحراء الغربية، دون ان يناقشوا حقيقة الحرب التي تدور رحاها بين ايران والعراق.

وبالنسبة للكتاب الجزائريين فانهم يرون أن مأساة الوطن العربي تكمن في عدم الاهتمام بالانسان وحرمانه من ممارسة الديمقراطية التي تمكنه من تحمل مسؤولياته كاملة في مستوى اتخاذ القرار الخاص بها وتطبيقه. كما انها تكمن الى حد كبير في الهجمات الاستعمارية المكثفة المركزة على الاعلام والثقافة خاصة، والهادفة الى فصل الانظمة العربية عن جماهيرها لان ذلك هو الشرط الاساسي للابقاء على حالة الاستغلال والتجهيل والتبعية الدائمة.

وان الجزائر الواعية لهذه الحقيقة لتخوض خاصة منذ المؤتمر الاستثنائي لحزب جبهة التحرير الوطني، معركة اعلامية وثقافية كبرى يرعاها شخصيا، فخامة رئيس الجمهورية الامين العام للحزب: الأخ الشاذلي بن جديد. وآمالنا واسعة في ان تنجح هذه المعركة لأن على ذلك يتوقف نجاح الشعب الجزائري في تحقيق استقلاله الكامل.

ولكن الجزائر تؤمن بان مصير الوطن العربي واحد، وبأن العالم اليوم يعيش عصر الاتحادات والتكتلات، وعليه فاننا مدعوون من خلال هذا المؤتمر الى العمل على وضع برنامج عمل يكون في مستوى طموحات جماهيرنا الشعبية وقادرا على الاسهام

بقوة في تغيير الذهنيات الجامدة وارساء قواعد الحرية والديمقراطية التي يتوقف على حقيقة ممارستها ترشيد المجتمع.

أتمنى لأعمالنا كل النجاح، وأرحب بكم مرة ثانية، واقول بصوت صارخ: عاش النضال الصادق من اجل اقامة علاقات عربية جديدة في جميع المجالات ومن اجل تكوين انسان عربي قادر على التغيير، غيور على حريته واستقلاله.

كلمة وزير الثقافة الجزائري

وألقى الدكتور عبد المجيد مزيان وزير الثقافة والسياحة الجزائري الكلمة التالية:

يسعدني أن أضيف كلمتي التي ما سبقني به زملائي من تمنيات بالتوفيق وأرحب بكم في بلدكم هذا، وهو البلد الذي لم يبخل بجهوده وجهده في سبيل إثبات الشخصية العربية بين أمم العالم، ولا يزال هذا الجهاد مستمراً حتى اليوم.

وإننا لنعد الثورة الجزائرية، والثورة الفلسطينية، وكل ثورة ضد الاستعمار العالمي حدثاً تاريخياً طبيعياً ما دام للأمة العربية قلب حيّ، وطمع في الحياة، ولا نرى ان للكفاح الفكري والكفاح بالأقلام، اي تمايز او انفصال عن الكفاح بالسلاح.

واذا كان مؤتمرنا هذا سيبحث في العلاقات او التناقضات الموجودة بين الثقافة والاعلام، فانه لا بد من طرح بعض القضايا الأساسية التي تهمّ الأجيال الحاضرة.

واذا كانت القضية الفلسطينية هي أمّ القضايا العربية سياسياً وثقافياً فان هذه القضايا الأساسية تُلخَّص تبعاً لها في نقط اربع هي:

١ - قضية الوحدة الثقافية.
٢ - قضية اللغة العربية كلغة العلم.
٣ - قضية الغزو الثقافي بالمنظارين الحضاري والعقائدي.
٤ - قضية الحرية الفكرية.

إن أجيالنا الحاضرة التي رفع عنها حصار الاستعمار المباشر قد احتكّت بالمجتمعات العالمية، وقدرت تناقضاتها الداخلية وتغذّت بالمكتبات الفكرية المعاصرة، وعرفت ماضيها وحاضرها بمنظار المقارنة لا بمنظار التقليد فقط وهي من أجل هذا تطالب بالكثير من الإبداع والرقي لتصبح في مستوى الصراع والتطوّر العالمي.

ويؤسفنا ان نجدنا نمارس سياساتنا الثقافية بأساليب ومناهج تتّصف بالخوف، والتردّد، والتناقض في بعض الأحيان، لقد وضع الاعلان منذ زمن طويل عن الأخذ بيد الثقافة العربية الواحدة الموحدة، ولكن الكثير من مثقفينا لا يزالون حتى اليوم يثبّتون بأقلامهم ولا سيما في المجالات الفنية، الخصوصيات اللغوية الاقليمية، بدعوة الحرية والواقعية.

يجب أن لا تخوننا الذاكرة ونحن حديثو عهد بالاستعمار وكلنا عارف بالخطة الدقيقة التي رسمت لنا لجعل اللغة العربية تابعة للاتينية القرون الوسطى التي تنبثق عنها لغات عديدة تثبت وطنيات واقليميات جديدة وتؤدّي من التشتيت اللغوي الى التشتيت السياسي.

وفي مجال التعليم يغيظ أجيالنا الصاعدة أن ترى نفسها معرضة لتجارب مضطربة بين ازدواجية وثلاثية مع النزول بالعربية الى مستوى الأداة اللاعلمية، بينما نشاهد كفاح الأمم الصغرى في أروبا من أجل فرض كل تعليم علمي بلغاتها الوطنية.

ثم إن أجيالنا الحاضرة تسمع بضجة عارمة عن الغزو الثقافي الاجنبي وتشاهد بنفسها عجزنا المطلق عن التصدّي لهذا الغزو. فدعاة الانغلاق والوقاية الصرفة يثيرون السخرية لانهم يريدون الانتحار لمجتمعهم، ودعاة الانفتاح الكلي يسعون الى اندماج يفتّت الشخصية، ودعاة التوازن أنفسهم لا يستطعون ضمان الانتاج الذاتي كمّا ونوعاً بالامكانيات التي تحقق هذا التوازن.

هذه بعض قضايا الجيل التي يطرحها على مفكريه وينتظر فيها الممارسات السياسية السريعة والناجحة.

وفي التاريخ أمثلة كثيرة لأزمات لم يكن حظ الكتّاب فيها بأقل من حظ القادة السياسيين والعسكريين بل ان كل نهضة سياسية هي قضية مفكرين وكتاب قبل كل شيء. فالثورات الاروبية بدأت فكرا وكتابة، والحضارة الاسلامية بدأت كتابا، ثم ازدهرت كتّاباً ومفكرين.

ان تحولنا السريع وتطور مجتمعنا العربي ليصير في مستوى السباق العالمي، يعني اليوم الاخذ السريع بمكتسبات العصر مع بقاء الذات الحضارية. وللغة هنا دور أساسي، وكلما وقعت الهيبة من العلوم والتقنيات على أنها مجالات شبه سحرية لا تنسجم الا مع لغات أروبية، فانه سيقع النزول بالعربية الى مستوى التخلّف.

لم يتهيب مترجمو القرون الوسطى وعلماء ذلك العصر من نقل علوم اليونان، وما لبثوا أن أصبحوا من المبدعين فيها وأكسبوا بذلك لغتهم دربتها وقدراتها المعروفة.

ونقول بشأن قضية الحرية إننا ككتّاب ورجال فكر تعوّدنا أن نطرح قضية الانتاج والابداع الفكري من الجوانب الضيّقة، ولا زلنا نسمع عن الاتهامات المتبادلة بين السياسيين والكتّاب في كافة أنحاء الوطن العربي.

فالسياسي يدعي أن الابداع الفكري متأخر عن الانجازات السياسية والاقتصادية، والكاتب يتهم الأنظمة السياسية بأنها تمنعه من الابداع ويدّعي أن القدرات موجودة ولكنها مخنوقة بسبب القمع، ثم يجيبه السياسي بأن التفاهات من حقّها أن تخنق.

وليست دوامة الجدالات من هذا النوع الا مظهرا من مظاهر أزمة التطوّر. ونحن نعلم أن الأقلام القارّة الى ما تعتقد أنه عالم الحرية لا يتفتّق إبداعها عن مبتكرات أحسن مما هو موجود في مجتمعاتها الأصلية. فالكاتب العربي في مجتمعه أو في الغربة هو نفس الكاتب الا فيما يخص هذا الجزء من الأدب الذي يسمى المذكرات السياسية، وما أقلها؟ فقضية الإبداع الفكري والكتابة الراقية فيما نرى قضية مناخ حضاري متكامل، ونشاهد رغم العقبات والتناقضات أن جيلا قارئا بدأ يتكوّن في أمتنا العربية وأنه سيفرض إبداعا متجاوبا مع طموحاته الى التطوّر والعالمية.

وإننا لا نرى من خلال طرح قضية الفكر بطريقة حضارية

إجمالية رؤية من يقول بأن العقيدة هي دائماً إفراز اجتماعي وتصورات حتمية مشدودة الى الواقع، بل نرى أيضا أن العقيدة هي مجهود فكري نضالي لتغيير الواقع والدفع بالمجتمع الى التطور والرقي والانتصار.

هذه باختصار بعض قضايا الثقافة التي يعاني منها الجيل، نتمنى أن تحظى بالاهتمام ونتمنى لمفكرينا التوفيق في علاجها.

كلمة الأمين العام للاتحاد

وألقى الاستاذ علي عقلة عرسان الأمين العام للاتحاد العام للأدباء العرب الكلمة التالية:

ينعقد المؤتمر العام الرابع عشر للأدباء والكتاب العرب على أرض الشهداء والتضحيات الجسام التي قدمت عبر تاريخ نضال مجيد ومديد، على مذبح التحرير والحرية، حتى ليكاد هذا الثرى يتشكل أجسادا، وهذا المدى يعبق بأنفاس أولئك «الأحياء عند ربهم يرزقون» طلائع وتقدمات شعب عريق، دفاعا عن وجوده، وعن انتمائه لحضارة وعقيدة ولغة وقيم، ان عزت عز، وان ذلت ذل، وتأصيلا لشخصية ثقافية في تربة حضارة متمايزة ومميزة.

وأرض الجزائر وعطاء أبنائها وجهادهم صفحة ألق من كتاب مشرق الصفحات كتبه ويكتبه الشهداء والمناضلون في أرجاء الوطن العربي بالدم والتضحيات، ويجدون متون ما طمست الأيام من حروف تاريخهم تحقيقاً لتلك الأهداف وسعيا لتوحيد الجهد وتوحيد الصف.

والمؤسف المحزن في آن معا، أن يأتي انعقاد هذا المؤتمر في وقت يضيق فيه الانسان على الأرض العربية من المحيط الى الخليج - بعد أن طرد جيوش الاستعمار المباشر منها - بالقيود المفروضة على الحرية وممارسة الحقوق المشروعة للانسان، وفي زمن انحسار ارادة التحرير وقواه في معظم الأقطار العربية بفعل سياسات وممارسات الأنظمة.

ونجد أنفسنا، نحن الأدباء والكتاب العرب، أكثر احساسا بالمأساة، وشعورا بالأزمة واكتواء بنار المعاناة، في هذا الزمن العربي الرديء ومنه، حيث أننا نبصر ونسمع وننطق وندرك وتختلج منا الضمائر، ويراد لنا أن نكون صما بكما عميا في عداد الهياكل التي تدب على الأرض. أحياء بلا حياء، وشهداء عصر دون لسان، وبواتق يحرقها رمادها، ويراها الناس آنية تحرق فيها الأشياء.

وحين تلهث بنا الدروب، وتقرعنا ضمائرنا لننطق بالحق، ونسهم في ايقاظ الضمير العربي المتناوم، ونقتحم حواجز الرعب مختارين ما يرتبه علينا التزام الأحرار أصحاب الرسالة والقضية النبيلتين من مسؤوليات وتبعات، نقف على فاجعتنا الكبرى حيث كلماتنا سيوفنا أصبحت خشبيات النصال والقبضات، تحترق ولا تحرق، يفتتها الدم ولا يجدد منها الشفرات وقد أفسدت علينا مصداقيتها لكثرة ما هجنت ودجنت وحملت من كذب، وصنعت من انتصارات زائفة على موجات الأثير، ولأنها ولكثرة ما استعملت أوعية نقل وعود كاذبة وملق يكسف شمس الوجه الأصدق للذات المكتوبة بنار الواقع المعيش، الواقفة على مدى اتساع الهوة بين التطلعات الواضحة لشعب يستقرى تاريخه، ويتقرى قواه وامكاناته، وبين محصلة قواه في النهاية.

نعم يا من تعني لكم الكلمة شيئا، لقد أفسدت علينا مصداقية الكلمة، سلاحنا الوحيد، لكثرة ما سخرتها السياسات العربية المتناحرة، وأجهزة اعلامها لتكريس القطرية الضيقة ولتغذية التكاره والتباغض والتزييف على الجماهير وخداعها مستبيحة كل المحرمات والمقدسات الأخلاقية، العربية والاسلامية، التي اعتزت بها هذه الأمة وما زالت، فأخذ الضمير العربي يتلوى بين سفافيد تلك الأجهزة، ينشج آنا، وتختلج فيه بقية من روح، الى أن سكت وسكن، فآل أمر السامع الى أن يسمع زمنا بعد زمن، وتتبلد مواضع الاحساس بالكلم ومعناه لديه، حتى تكسرت في الجراح نصال على نصال فما عاد يعنيه ما يقال وأقر آسفا كذب ما قد يقال، فما عاد الخطاب يحول الشوارع الى سيل بشر، ولا حتى الشعر يحرك في القلب وترا أو يقضي لفارس الكلمة وطرا.

فأين المهرب مما آل اليه أمر استخدام الكلام، والنيام في أرضنا يتكاثرون ويزيدهم النوم سقما على سقم، ويطفىء في أبصارهم ألق الأمل الذي أصبح يرفعه التاريخ بتكاسل وتثاقل وكيف الخروج من استلاب الاغتراب عن المصداقية الى دائرة الكلمة الصادقة المصدقة، الكلمة المنقذة التي تغذو زوبعة في الضمير تزيل أدرانه وتجدد في الروح ما انعطب وتحيي ميت الشاعر، وتفتق أفق الرؤية والاندفاع في دروب النضال.

اننا ندرك ألا سلاح لنا سوى الكلمة التي أصابها ما أصابها على يد الاعلام وسياسات الحكام وبعض الكتاب الذين صاروا وسائل تطويع أو تطبيع، أو اختاروا سوق الاتجار بالكلام، فأسهموا في انتاج ثقافة «البترودولار». وندرك أننا وسلاحنا ننتمي الى الثقافة، التي تسهم في تكوين الانسان عقلا وقيماً وضميرا وملكات، منطقا ومحاكمة وقدرة على التمييز، ورؤية للحق واتباعا له، وللباطل ومقاومته لا اجتنابه فحسب.

ندرك أننا أقرب الى رجل المعمار الذي يضيف حجرا أو مدماكا الى صرح الحضارة ويصنع الانسان القادر على فعل ذلك محققا الانسجام ومؤديا الغرض، أو مفتشا عنه، ولكن معمارنا حي يصنع الحياة يتعامل معها ويجددها ويحافظ على شخصية متمايزة فيها لا تمييزا متعاليا وانما تحقيقا للتنوع في اطار جدلية الاغناء والاغتناء في حقل تلاقي الثقافات وتفاعلها.

ندرك أننا أقرب الى ما يمكن أن أقول عنه «استراتيجية التكوين الروحي والعقلي للانسان» أقرب الى التعامل مع الثوابت المتأصلة فيه وفي المجتمع عبر تاريخ ذلك المجتمع، أي أننا أقرب الى سدنة التعامل مع الكائن الانسان في مراحل التكوين والكشف والتجديد والارتياد ضمن شخصية واضحة متأصلة، تاريخ وجغرافيا، لا يمكن فصلها أحدهما عن الآخر. ولذا نشعر أن الاعلام بوصفه جهازا متحركا يضع الرأي العام في اتجاه معين خلال فترة معينة لتحقيق غرض معين، وتتغير أهدافه ووسائله ومعاييره، وربما قيمه بتغير المصالح والظروف والأشخاص، كما تتغير سياسته

فكلما تغيرت وزارة أو تغير وزير، هو جهاز أقرب الى الاتصال بالتكتيك المرحلي الذي لا يشكل الثوابت والمعايير في الانسان اذا ما انفصل عن التعامل مع قيم أخلاقية وانسانية وثوابت في سياسات ثقافية تمثل استراتيجية التعامل مع المواطن وتكامل معها.

ولأننا أدباء وكتاب، ننتمي الى ثرات أدبي وثقافي عريق واحد موحد ونتواصل بوعي ورؤية ثورية مع هذا التراث من جهة، ومع واقع الحياة وتطلعات وآمال جماهيرنا فيها، ونواكب نضالها لتغيير واقعها بواقع أفضل، من جهة أخرى، نجد صعوبة كبرى في أن تتلاعب بنا رياح الاعلام، فنغدو تبعاً، أو أبواقا لتبع، ونتمزق بتمزق الأقطار، ونسهم في تمزيق الشعب الواحد، وفي اضعاف ريح الأمة وروحها، ونجدها ألصق جماهير الشعب العريضة، من فلاحين وعمال وكادحين وشباب، نعبر عن تماسكهم في أمة وتمسكهم بعقيدة، وتطلعهم الى وحدة، ونضالهم من أجل الحرية التي ولدنا في رحابها، أحرارا.

ولقد حافظ اتحادنا على هذا النهج، وتمسك بهذه الثوابت القومية الأخلاقية ودفع ثمن مواقفه بأشكال مختلفة، ولكنه أصر على أن يرفع صوته حين تنخفض الأصوات، ويغرس في القلوب وفي الدروب غراس الأمل حين يسودّ الأفق، وتزداد الحلكة في عين الشعب، وقف في وجه الاستسلام بمخططاته ورموزه، ووقف في وجه استلاب الحريات وحرص على متابعة النضال من أجل تحرير ارادة المواطنين، وتحقيق العدالة وتصدى بامكاناته المتواضعة لأشكال الغزو الثقافي وما زال.

ولذا أجدني معتزا بوحدة موقف الكتاب والأدباء العرب وتمسكهم بما هو بنيوي واستراتيجي في حياة الأمة ومقاومتهم لمخططات التمزيق، لممارسات سياسية عربية لم تلتفت الى ما يجمع الأمة وينقذها في زمن يذبح فيه الأعداء المدن ونتفرج وتغتال القضايا المصيرية ونسكت، وتحلق في الأفق أسراب الجيوش الغازية بحثا عن أعشاش جديدة في ربوع وطننا الكبير.

أجدني معتزا بطليعة تختار الشعب والوطن والحق والانسان، وتصمد على الجبهة الثقافية ضد الغزو الثقافي الذي يخطط لاحداث الفراغ بالتشكيك ولملء الفراغ المستورد الجاهز من جهة، وضد محاولات تمزيق هذه الجبهة داخليا لتقوم مقامها ثقافات انعزالية قطرية مريضة تخدم أنظمة مهما عمرت هي عابرة في تاريخ الأمة، وأشخاصا مهما امتد بهم الزمن سيؤول الأمر لغيرهم لأنه لا بقاء لمحكوم عليه بالزوال.

أجدني مفاخرا بهذه الجبهة المتماسكة في وطننا العربي، تلك التي ترفض الانهزام والاستسلام والمساومة، ترفض تصفية القضايا الكبرى، وانتهاك الحريات، وتحويل الناس الى قطعان، ترفض أن تكسب قوتها بأثدائها، وتصبر على الحاجة، وتشد الحزام على البطون وتسهم بشرف في تحمل مسؤوليات ثقافية قومية بنيوية في زمن ترتفع فيه الدعوة لتكون الأمة الواحدة أمما والأدب الواحد آدابا، والوطن الواحد أوطانا، تقطع بينها حتى ما اعتادت على وصله أوطان متناحرة لأقوام متباعدة من تواصل انساني، نعرف جيدا أن وسائل الاعلام المسموعة والمرئية منها على الخصوص، هي أفضل أقنية التواصل مع الجماهير العريضة التي تئن تحت وطأة ليل الأمية، وان خضوعها التام لسياسات الاعلامية العربية المتصادمة في أغلب الأحيان، والمنفذة لسياسات مرحلة غير مستندة لاستراتيجية تحرك قومي واحدة، وترتبط بمتغيرات السياسة القطرية وتكتيكها، يحرمنا الاستفادة منها كأقنية تثقيف وتثوير وتغيير قادرة على التأثير في الناس، ويملي علينا شيئا فشيئا شروطها للتواصل مع الآخرين من خلالها، والتي تتمثل في أن نتنازل لها عن آرائنا ومواقفنا، لا أن تمنحنا حقنا في ممارسة الحرية وتحمل تبعاتها، ولا يلبث ذلك التنازل أن يصبح طبيعة تشيع السطحية والاستكانة والببغائية، ثم الى كتابة حسب الطلب، فكيف نسير في تلك الزفة ونصير تبعا أو أبواقا لتبع.

ان هذا لا يضر بالأدب والثقافة ورجالها فقط، وانما يخرب دورها الايجابي في الحياة ويحولها الى وسائل تخدير وتزييف، ويحرم الشعب وساسته ومسؤوليه من أولئك الذين يهدون اليهم عيوبهم، أو يقومونهم بألسنتهم، أو يقدمون لهم عونا على أداء الواجب ما دام الواجب كشفا عن الأفضل والأليق بالانسان الحر.

اننا ندرك قيمة هذا الجهاز، ولكننا لا نريد أن يكون ثمن الاطلالة على الناس من خلاله اقامة مخافر جديدة في ضمائرنا تصبح طبيعة لنا بالاعتياد وتقوى على حساب حيوية الروح وحياة الضمير وحرية الارادة.

ولذا آمل أن ننجح في تلمس طريق سليمة واضحة في مناقشاتنا لمحاور موضوع مؤتمرنا هذا الذي يقام تحت شعار «الأدب العربي بين الثقافة والاعلام» لنوظف جهودنا بوعي وتكامل مع المخلصين من أبناء هذه الأمة لخدمة قضاياها الرئيسية وانسانها الذي عانى وآن له أن يخرج من مهمة الضياع، وغياب الفاعلية.

ان مؤتمرنا هذا ينعقد في ظروف عربية صعبة للغاية، وآمل أن يسهم وعي الكتاب والأدباء، وإحساسهم الصادق بالمسؤولية في تعزيز الصمود، واذكاء النضال الجماهيري من أجل استعادة الحقوق المغتصبة، والدفاع عن كل شبر من الأرض العربية من الطامعين بها. وأن يعيد الأمل قويا في نفوس الجماهير بالنصر والوحدة وتحقيق العدل.

تحية للجزائر كتابا وحزبا وحكومة وشعبا على استضافة هذا المؤتمر، وما قدم لنا من تسهيلات مكنتنا من القيام بعملنا.

تحية اكبار للشهداء الذين سقطوا دفاعا عن الوطن والحرية وقضايا أمتنا المصيرية.

تحية للمقاتلين والمناضلين على جميع الجبهات العربية الذين يقدمون بشرف أعظم وأصدق وأنبل التضحيات من أجل غد عربي مشرق.

النصر لفلسطين قضية العرب الأولى وللانسان وانسانيته وأهدافه في الوطن العربي.

والمجد للشهداء وللكلمة الموقف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

وألقى الدكتور محمد صالح الجابري كلمة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وهذا نصّها:

يشرفني في مفتتح هذا المؤتمر أن أنقل اليكم تحيات الاستاذ الدكتور محيي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الذي تعذر عليه حضور مؤتمركم هذا بنفسه لارتباطات مسبقة وكذلك تمنياته القلبية لكم بالنجاح والتوفيق لتحقيق الاهداف والغايات النبيلة التي التأمتم من اجلها في هذا الظرف الذي تخوض فيه امتنا العربية المناضلة معركتها الموصولة ضد جميع المعوقات والمثبطات والتحديات الحضارية.

ولعل اختياركم مدينة الجزائر لعقد هذا المؤتمر يحمل اكثر من معنى ومن دلالة، دلالة ترابط امتنا مشرقا ومغربا في الهدف والمصير ودلالة الاعتزاز والافتخار بما يجسم هذا القطر العربي النبيل من ارادة عنيدة ومن صلابة وتاريخ نضالي عريق، اذ كانت الجزائر على مر الاحقاب مبعث فخار امتنا وصورة مشرفة من صور نضالنا واستماتتها في الدفاع عن مقوماتها وأصالتها.

بالإضافة الى أن هذا الاختيار يؤكد المشاركة الوجدانية للمثقفين والمبدعين العرب ومباركتهم الخطوات الجريئة التي تخطوها الجزائر بقيادتها الوطنية الواعية وحزبها المناضل في معركة التعريب واستعادة الذات وتحقيق اسمى مطلب من مطالب الشهداء والمصلحين في ان تستعيد هذه الرقعة المغربية وجهها العربي الوضيء الذي طالما اشرق على افريقيا وعلى الوطن العربي وانبت الافذاذ من الرجال المجاهدين امثال عمر بن قدور، وعمر راسم، وعبد الحميد ابن باديس ومبارك الميلي والعربي التبسي، واحمد رضا حوحو، ومولود فرعون والربيع بوشامة ومفدي زكريا واضرابهم.

ان هذه النخبة المستنيرة المجاهدة من افاضل العلماء والمثقفين الجزائريين كانت من ابرز الاصوات التي اتخذت من الادب العربي وسيلة الاعلام والثقافة وسيلة للنضال في هذه الربوع المغربية، وشادت الجسور مكينة بين مشرق هذه الامة ومغربها وعملت على فضح المستعمر الفرنسي في جميع الصحف العربية والاسلامية تركت كتاباتها وآراؤها الجريئة صدى ارتعب منه الاستعمار وسرى منه بريق الى الرأي العام العربي كشف له حقيقة اوضاع المغرب العربي في ظرف لم يكن فيه الاعلام الثقافي موضوع مؤتمركم هذا علما شائعاً مقننا مثلما هو الحال الان ولكنه كان في آذان هؤلاء حقيقة راسخة واسلوبا ممارسا وسلاحا فعالا ووسيلة من وسائل المقاومة والمناضلة.

هذه الصورة الصغيرة المتواضعة والتي تتماثل وتتشابه مع صور عديدة ينطوي عليها تاريخ امتنا العربية في جميع اقطارها توحي بدراسة هذا الموضوع ليس في الحاضر فحسب ولكن بدءا من التاريخ القريب وحتى البعيد حيث كان اسهام اجدادنا متألقا ومدركا وواعيا لأبعاد القضية الاعلامية في اطار العمل الثقافي الادبي الذي لم يكن معزولا ولا منفصلا عن الشعب وعن الاكثرية.

ولقد كان للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم شرف الاحساس بأهمية هذا الموضوع الخطير، موضوع العلاقة بين أجهزة الاعلام واجهزة الثقافة في الوطن العربي حيث كلفت منذ فترة ثلة من الإعلاميين والمثقفين بدراسة مختلف جوانب القضايا المثارة في هذا الصدد، وقد انجزت هذه الدراسات وينتظر ان يضم جانبا منها العدد القادم من (المجلة العربية للثقافة) التي تصدر عن المنظمة خلال شهر مارس الحالي في انتظار اصدار جميع الدراسات في كتاب مستقل في وقت قريب لاحق.

كما أن هذا الموضوع بالذات يحظى بعناية خاصة في اعمال لجنة التخطيط الشامل للثقافة العربية وهي لجنة متخصصة من لجان المنظمة تعكف على انجاز الخطة الشاملة للثقافة العربية، وقد عقدت لهذا الغرض حلقة خاصة بهذا الموضوع سوف تكون فصلا من فصول سجلها الذي سيصدر عنها في وقت قريب لتفيد منه المنظمة والامة العربية في خططها القريبة والبعيدة ويستنير به المثقفون العرب في التعرف على واقع ثقافتهم ومستقبلها وافاق العمل الثقافي بصورة شاملة.

ومما لا شك فيه ان سعي المنظمة وهدفها وعملها لا يتوقف عند التصدي للقضايا المستجدة التي تفرضها المعاصرة والتغيرات الدولية والحضارية ولكن مثلما تعلمون جيدا ان المنظمة تسهم بفعالية في جزء من عملها بل في الجزء الاوفر من عملها في معالجة جميع شؤون الثقافة العربية من منطلقات قومية متجذّرة ووفق نظرة طموحة متجددة.

فهي لا تني تواصل عقد المؤتمرات الدورية التي تجمع وزراء الثقافة العرب لتدارس ما يجد من قضايا وما يتوجب وضعه من قوانين وقرارات وصياغات.

وقد كان آخر هذه المؤتمرات المذكورة المؤتمر الرابع الذي عقد بمدينة الجزائر بالذات خلال شهر مايو ١٩٨٣ حول موضوع (الامن الثقافي العربي) وقد اسهم في دراسة هذه القضية مجموعة من ابرز الكتاب والمثقفين ازاء اسهام السادة الوزراء انفسهم في صياغة القرارات والتوصيات والمشروعات الكفيلة بحماية الثقافة العربية وتوفير المناخ الضروري للمبدع العربي في كنف الحرية والمسؤولية والتصدّي لجميع ألوان الغزو الثقافي الاجنبي.

ولعل أهم ما يمكن أن يشار اليه في عجالة من أعمال المنظمة في مجال العمل الثقافي القومي اضافة الى (الخطة الشاملة للثقافة العربية) انصرافها في الوقت الحالي لوضع الترتيبات النهائية لقيام مؤسسة (الموسوعة العربية) ومؤسسة (الترجمة والتعريب) وانجاز كتاب (الفن العربي الاسلامي) وكتاب (الفن التشكيلي العربي المعاصر) انطلاقا من النظرة القومية الشاملة للثقافة العربية.

كما تقوم المنظمة في الوقت الحالي بتعاون ثلاثي بينها وبين الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي بالكويت ومنظمة اليونسكو بوضع دراسة شاملة حول موضوع (الصناعات الثقافية في الوطن العربي) ومن شأنها أن تقود الى مسح واقع هذه الصناعات والوصول الى تحقيق مشروعات تتكامل فيها الجهود العربية القومية

وتتوفر بها الحاجيات الملحة التي يفتقر اليها الوطن العربي.

ومما هو جدير بالتنويه في هذا الصدد الموقف الايجابي الذي وقفته معظم الاقطار العربية التي اقبلت بحماس للتوقيع على (الاتفاقية العربية لحماية حقوق المؤلف) التي كانت المنظمة قد سهرت على اعدادها وصياغتها وعرضتها على المؤتمر الثالث لوزراء الثقافة العرب الذي عقد بمدينة بغداد في شهر نوفمبر ١٩٨١. وهي الاتفاقية التي تؤكد على منزلة الكاتب والمبدع العربي وما يجب ان يتوفر له من الحماية المعنوية والمادية. وتطبيقا لأحد بنود هذه الاتفاقية، اجتمعت خلال شهر نوفمبر ١٩٨٣ بمقر المنظمة بتونس اللجنة الدائمة لحماية حقوق المؤلف في اول دورة لها لدراسة ومتابعة تطبيق هذه الاتفاقية وايجاد الصيغ الكفيلة باستصدار التشريعات القطرية المتصلة بالاتفاقية واقامة المؤسسات التي ستتولى الاشراف على تنفيذها.

ودعما لهذا الاتجاه فان المنظمة العربية بناء على احدى توصيات المؤتمر الرابع لوزراء الثقافة العرب تعكف حاليا على وضع تشريعين هامين اولهما حول (تيسير تداول الكتاب الثقافي العربي) وثانيهما حول (رعاية المبدعين والموهوبين).

اما في مجال تكريم العلماء والمثقفين وتشجيع المبدعين فقد رصدت المنظمة العربية جوائز هامة وحوافز متعددة من بينها الجائزة العربية التقديرية التي دعت المجامع العلمية والجامعات واتحادات الكتاب العرب لترشيح من تراه كفؤا لها، وقد ترشح لهذه الجائزة عشرات الكتاب والمثقفين والعلماء ومن المنتظر ان يعلن عن نتائج هذه الجائزة في وقت قريب.

اما الجوائز التشجيعية فنذكر منها: جائزة الابداع الادبي، وجائزة المسرح العربي، وجائزة الترجمة، وجائزة ثقافة الطفل، وقد اعلن عن الترشح الحر لجميع هذه الجوائز في الصحف والمجلات ووسائل الاعلام العربية باستثناء جائزة الابداع الادبي التي سيعلن عنها في وقت لاحق من هذه السنة.

وان المنظمة العربية لتنتهز هذه الفرصة امام هذا الحشد الكريم لدعوة المثقفين العرب للاسهام في الدور القومي الذي تضطلع به والمشاركة في الترشح لهذه الجوائز كما تنتهز هذه الفرصة للاشادة والتنويه بالتنسيق القائم بينها وبين الاتحاد العام للادباء والكتاب العرب في مختلف مجالات وخاصة بالامين العام للاتحاد الاستاذ علي عقلة عرسان الذي دأب على حضور مختلف انشطة المنظمة والاسهام فيها بما عرف عنه من جدية واخلاص للعمل العربي القومي.

وكلمة الختام، شكر لا محدود للجزائر رئيسا، وحكومة وشعبا على احتضانها هذا المؤتمر، واجمل الامنيات لكم بالنجاح والتوفيق.

كلمة اتحاد الكتّاب اللبنانيين

وألقى الاستاذ أحمد سويد امين عام اتحاد الكتاب اللبنانيين الكلمة التالية:

من الضفّة الثانية للمنبسط العربي الشاسع يسطع وجهه، ينبثق من بين الانقاض والخرائب، وغبار الموت وانهار الدم، ليطل عليكم بهيا كما عرفتموه، عربيا ديمقراطيا كما عرفتموه، طليعيا كما كان، وكما سوف يبقى.

هذا الجسد الذي استهدفته كل خناجر الغدر وتناهشته كل ذئاب الارض، ولعقت من دمه كل الغيلان.

هذه القبضة العنيدة المتربصة أبدا عند ثغور المتوسط، هذا الفارس الازلي المرابط عند تخوم المدى العربي متمشقا عزمه وعناده وتاريخه.

هذا الوطن الصغير الجميل المثقل بالجراح والعذابات وكل الوان القهر والذي كان ولا يزال يخوض معاركم جميعا. يطل عليكم اليوم، ليقول لكم وعلى شفتيه الداميتين عتاب أخوي مهموس: اين انتم يا عرب اين انتم يا اخوة الوجع والمصير والدم.

• • •

يوم كانت جحافل شارون على ابواب بيروت، وحمم طائراته تمسح معالم العمران الانيق فيها، وجحيم مدافعه يغتال اشراقتها وألق جبهتها ويلتهم بساديته المعروفة عروقها الحية.

يومها انتظرناكم.

ويوم كان عملاء شارون الصغار، ورثة النازية، وغلمان الفاشية يغمدون نصالهم الجبانة في ظهر بيروت واحشائها وخواصرها.

يومها افتقدناكم

... وقاومت بيروت.

.. قاومت كما يليق بعاصمة الكلمة العربية المقاتلة، كما يليق بمهرة عربية أصيلة العنفوان، جموح الكبرياء. شامخة الجبهة.

وحين سقطت، وهي واقفة، كان على شفتيها الداميتين عتاب اخوي مهموس:

اين انتم يا عرب، اين انتم يا اخوة الوجع والمصير والدم.

• • •

ولكن بيروت عروس العواصم، وام المواسم، جنية قد تغلب احيانا، ولكنها لا تموت ابدا، ولا تركع.

هكذا قال لهم طائر الفينيق الذي يسكن روحها ورمادها، ونبضها الخامد.

ومن اجل ذلك حشدوا لها الاساطيل، وربض الليل الاميركي فوق صدرها بكل سواده، وحاصرها الليل الشاروني بكل بربريته، والليل الفاشي بكل احقاده، كيلا تنبعث من الرماد، كيلا تستفيق.

• • •

ولكن بيروت، نفضت رمادها قبل ان ينقضي الحول، وانتفضت.

اسقطت سطوة الموت، حين استطابت نكهة الشهادة، حطمت انياب القوة المغرورة، حين انتضت سلاح الارادة. دحرت غزاتها، حين عرفت كيف تطلق طاقات الجماهير، وكيف تخترق جدران الرعب.

ها هي بوارج ريغن تلوي اعنتها المغلوبة بعد اضخم استعراض

كرنفالي للعضلات، وطبائع الغطرسة.

وها هي اسرائيل تواجه مأزقها التاريخي في الجنوب اللبناني وتقع في مصيدة استنزاف يومي وانهاك متمادٍ يساقط احلامها التوسعية، وتدرك معه بالتجربة انها نبت طفيلي في تربة تلفظه، ولا تتقبله أبدا.

انها هناك في مواجهة قدرين كلاهما قاطع، قاسم للظهر، مخلخل للتماسك النفسي، مزعزع للتلاحم الداخلي:

- هجمات المقاومة الوطنية المسلحة التي تعرّيها يوميا من توهجها العسكري، ووهم تفوقها التكنولوجي وعجائبية سلاحها المتطور.

- وزلزال المقاومة الوطنية المسلحة بالرفض المطلق للاحتلال، والتعبير عن هذا الرفض بشبكات الاعتصام والتظاهر، وحواجز الإعاقة والارباك.

وبلغة العصي والحجارة والزيت المغلي المشوّه، وبكل ما يمكن من وسائل الإثارة المخرّبة لجهاز توازن العدو وحملته العصبية.

وها هي بالتالي أوهام وهلوسات الزمرة الفاشية العميلة تتهاوى تحت ضربات القوى الوطنية. فلقد زين الحمق والغباء لهذه الزمرة.. ذات لحظة، انها قادرة على ان تسلخ لبنان عن محيطه العربي، وان تقضي على مناخات الحرية وتمظهرات النزوع الديمقراطي، وأن تحوله الى مستوطنة متصهينة متحصنة بصهينتها، وخزانٍ للحقد الطائفي والتشنج الاستعلائي ووكر استعماري لتفريخ المؤامرات وضخها وتصديرها، بهدف القضاء على كل ما هو مشرق مضيء في تاريخنا وتراثنا، وعلى كل نبض تحرري واستشرافٍ حضاري في دنيا العرب.

ايها الأخوة

بهذا الطرح الذي قد يعتبره البعض كلاما سياسيا مباشرا، أردنا ان نستنفر الفكر العربي الريادي المتمثل بكم، فمعركتنا في لبنان لم تنته بعد، لا يداخلنا في ذلك أي وهم.

ان واحة الامل التي صنعها نضال جماهيرنا من أجساد عشرات الآلاف من الشهداء، ومن عذابات الفقراء، ومن احلام البسطاء بالخبز والسلام والكرامة،

هذه الواحة هي انجاز معجز لشعب صغير باسل، ولكنه انجاز أوليّ، يستنفر كل القوى المعادية، ويرهبها ويحفزها على محاصرته ومحاولة اجهاضه.

وهنا دوركم يا إخوة الوجع والمصير والدم، ان تحموا هذا الانجاز ان تساعدوا على انضاج هذه التجربة بالترشيد، والدرس، والدعم، لتصل الى غاياتها، لنجعل منها بالتالي ومعاً، مطلعاً لفجر عربي جديد.

هل هو إغراق في الطموح المطعم بالنرجسية الساذجة؟ ربما، ولكن لنتذكر الشروخ التي احدثتها حرب لبنان بشتى مراحلها المثيرة في كيان اسرائيل، والخلخلة التي سببتها في تركيبها السياسي والتساقط الكارثي المتواصل لاهداف عدوانها عليه.

ولندرس ابعاد الهزيمة التي منيت بها اميركا، عرّاب كل عدوان على العرب، وعلى حريات الشعوب، وكيف سقط ردع اساطيلها، وقمع بوارجها ذات الطاقة التدميرية الاسطورية، وكيف غرقت الهيبة الاطلسية عند اقدام شاطئنا المتواضع الصغير.

ولنتذكر بالتالي ان الفكر وحده هو الصانع الحقيقي للثورات والأحداث والتاريخ.

ايها الاخوة في الوجع والمصير والدم.

تحية لمؤتمركم من لبنان المقاتل، الذي ما يزال يتأهب ويحتشد لجولات جديدة من الصراع الطويل...

تحية لكم من متاريس بيروت وخنادقها، من منابرها الثقافية التي... ما زالت كعادتها تنتظركم.

كلمة وفد فلسطين

وألقى الاستاذ يحيى يخلف الأمين العام لاتحاد الكتـــاب والصحفيين الفلسطينيين الكلمة التالية:

يطيب لي في البداية ان اعبر عن مشاعر الاعتزاز والفرح لانعقاد مؤتمرنا في جزائر الثورة، في هذا البلد العربي العزيز على قلوبنا والذي يحتضن مؤتمر الادباء والكتاب العرب للمرة الثانية.

يطيب لي ان اعبر عن مشاعر الامتنان والشكر للجزائر شعبا وحكومة وحزبا ورئيسا وان اقدم باسم فلسطين وباسم الادباء والصحفيين الفلسطينيين داخل وخارج الارض المحتلة كل المحبة والتقدير لهذا البلد المكافح الذي اعطى ويعطي للقضية الفلسطينية المشاركة والدعم والمساندة.

واسمحوا لي ايها الاخوة ان اعبر ايضا عن سعادة اتحادنا الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين بمشاركة هذا الحشد من الكتاب والادباء العرب، والذي يشكل تظاهرة ثقافية بارزة تجسد الاهداف التي من اجلها تأسس الاتحاد العام للادباء والكتاب العرب.

وفي هذا الجو العاصف، في هذا الوضع العربي الممزق، في زمن الاحتراب والاقتتال والتدمير الذاتي يأتي انعقاد هذه المؤسسة التي ترمز الى وحدة المثقف ووحدة الثقافة الوطنية العربية علامة بارزة ونقطة مضيئة تعطي بصيص امل وتشير الى وجود مهم يحدد الاتجاه وتؤكد ضرورة البوصلة الوطنية التي ترشد الى الطريق.

لقد كان ايقاع الحياة اسرع من ايقاع القلم، كانت حركة التحديات التي واجهت الوجود والمصير اسرع من حركة الثقافة، كان الصراع في المنطقة اعنف من اصطخاب المشاعر في اعماقنا.

لقد ظلت الاعمال الابداعية في وطننا العربي الكبير خلال السنوات الماضية حبيسة زنازين التجزئة، ظل الكتاب العربي مطرودا ومطاردا على الحدود العربية وظل صوت المثقف العربي في العديد من الاقطار العربية خافتا امام انظمة القمع والاستلاب، ووقعت مفردات الحرية والديمقراطية وحرية التعبير وحوار الرأي والرأي الآخر في دائرة الاحباط، ولم تعد هذه الانظمة القمعية تخشى بيانات الاستنكار أو تأبه لآراء الشخصيات ذات الوضع الاعتباري، لم تعد تخاف من الكلمة فارتفع صوت الجوقات الإعلامية

على صوت الأديب المبدع وارتفع صوت أدباء المراسيم على صوت ادباء الشعب، وارتفع صوت الثقافة الاستهلاكية في الاذاعات واجهزة التلفزيون على صوت الثقافة المستقبلية التي لا تجد جمهورا في قاعات اتحادات الادباء والمراكز الثقافية.

في هذا الجو العاصف، في زمن المناشدات والاقتتال والتدمير الذاتي، في زمن التجزئة والمزيد من التجزئة، في لحظة انتقال الأنظمة من درجة قمعية الى درجة اعلى، فان الاتحاد العام لأدباء والكتاب العرب مطالب بأن يكون قوة ثقافية ومتميزة. مطالب بأن يجسد شعاراته الكبيرة والعظيمة ويعطيها الحياة كي لا تظل حبراً على ورق.

مطالب بأن يوظف قوته المعنوية في كسر حاجز الارهاب المخابراتي وان يوظف قوته المعنوية من أجل حرية الكاتب العربي في التعبير والنقد واعادة صياغة الحياة.

مطالب بحماية الكتاب العربي الذي لا يستطيع أن يمر دون تأشيرة دخول هذا الكتاب الذي أصبح يعامل كحالة أمنية لا كحالة ثقافية فكرية....

مطالب بأن يعبر بالملموس عن مشاركته في النضال من أجل تحرير الوطن العربي من الاحتلال والتبعية والاقليمية والطائفية... كما جاء في نظامه الداخلي.

مطالب بأن يعبر بالملموس عن مساهمته في النضال لتحرير فلسطين ومساندة الثورة الفلسطينية.

مطالب بأن يعبر بالملموس عن محاربة الحركات العنصرية وعلى رأسها الصهيونية ومقاومة كل الدعوات للتعايش مع الكيان الصهيوني او الاعتراف به.

مطالب بأن ينشر التراث العربي وان يبرز الايجابي منه وأن يقيم جسور التواصل معه.

مطالب بأن ينقل الانتاج الأدبي العربي الى اللغات الأجنبية وبأن يكون بابا مفتوحا أمام الكلمة التي تغلق في وجهها الابواب.

أجل أيها الاخوة..

نحن مطالبون جميعا بتعبئة كافة الطاقات من أجل أدب عظيم، من أجل ثقافة وطنية تقدمية، من أجل تعميق المحتوى الديمقراطي والكفاحي في الثقافة الوطنية العربية.

نحن مطالبون بوقف هذا الانهيار، مطالبون باعادة النهوض الى الروح العربية، مطالبون بالانقاذ المعنوي وباعدة الاعتبار الى دور العقل، باعادة الاعتبار الى المبادىء والقيم مطالبون بالتصدي للغزو الثقافي الصهيوني الامبريالي الذي يحاول أن ينفذ من خلال اتفاقات كامب ديفيد الخيانية ومن خلال مشروع ريغان وعربه وعرّابيه.

لنرفع الصوت عاليا من أجل الحريات الديمقراطية في كل مكان.

لنناضل بحزم من أجل وطن عربي ديمقراطي، ومن أجل ثقافة عربية تنحاز الى قضية الانسان.

كلمة وفد العراق

وألقى الدكتور محسن الموسوي الأمين العام لاتحاد الادباء العراقيين الكلمة التالية:

ها هو مؤتمرنا، ينعقد مرة ثانية، هنا في الجزائر، وها نحن نلتقي على أرض الشهداء المليون، لكي نلقي عليهم السلام ونقف اجلالا لمن استحقوا الخلود. في تلك الأيام التي شهدت التطلع نحو الحرية والخلاص من الاحتلال، كان العربي اذا شهق في مغرب الوطن الكبير، يشهق معه عشرات الملايين من العرب وحين يهتف من أجل قضيته، يهتف معه الآخرون من اخوته، وحين يسيل منه الدم، تسيل الدماء في شوارع الوطن الكبير كله، وفي ساحته وأزقته في المدارس والمعامل في الوديان والجبال والسهول، انها الذكرى التي تستثير الحنين.

لقد كانت اياما أقل مرارة، من الايام التي نشهدها هذه، وكانت العواطف فيها أغزر، والوحدة فيها أمتن. أليس كذلك ونحن نرى الدماء تغرق أكثر من جزء من وطننا الكبير، حتى لكأننا نرى وجوهنا فيها ملونة باحمرار الدم، كما لو أننا ننظر في مرآة ملونة بلون الدم؟

من أرض الفراتين نحمل اليكم التحية.. من أرض يقف أدباؤها وشعراؤها وكتباها منذ أكثر من سنوات ثلاث ونصف.. منتصبة قاماتهم شمّاء جباههم صارمة عيونهم.. رافعين الصدور والرؤوس.. كما النخل الشامخ على شواطىء النهرين دجلة والفرات، وعلى ضفاف شط العرب...

من العراق.. حيث النار تلتهب على الحدود الشرقية للوطن العربي.. وحيث الدم هو الذي يرسم الحدود الآن.. ويثبتها بين مشرق الوطن.. وبين مهب الريح المسمومة، التي لا تحمل الينا حين تهب الا القنابل، تهوي على رؤوس الأطفال في المدارس.. والناس في الشوارع.. على نخل البصرة الزاهي.. وعلى الساحات التي تنتصب فيها تماثيل السياب، وابن الهيثم، والفراهيدي وسواهم..

وتقولون لماذا؟.. ولنا ان نقول: إنه ليس السؤال الذي يلقيه العربي على العربي.. ولكن لا بأس أن نقول: انها الغطرسة.. والعنجهية والتخلف.. وشهوة الدم التي تتحكم بالذين يحكمون ايران، ويصرون على العدوان.. والا فبماذا نفسر كل هذا الاصرار على مواصلة الحرب؟.. وبماذا نفسر اصرار أولئك المعتدين على أنهم لن يوقفوا الحرب حتى تدخل جيوشهم الى بغداد؟

ترى: اهناك امرؤ شريف في ايما بلد في العالم يرضى أن يسمع من حكام بلد أجنبي انهم يريدون أن يحتلوا ويقرروا مصيره فيسكت على هذا الكلام؟ اننا اليكم نحتكم.. وما الذي ينوونه ازاء بغداد التاريخ، والحضارة والمجد التليد، سوى أن يفعلوا بها ما فعله هولاكو يوم دخلها من قبل، فأحرق المدينة وأغرق الآلاف من كتبها في النهر؟.. وهل نبالغ اذا قلنا ذلك عن نظام أغلق الجامعات في بلده لسنوات، واعتبر الموسيقى رجسا من عمل الشيطان، وأخطر من الافيون وقتل من قتل من العلماء والمثقفين والأدباء، ولم يكن

الشاعر الايراني المعروف في اوساط العالم (سعيد سلطان بور) الا واحدا فقط من هؤلاء وهو الذي كان محكوما بالاعدام في عهد الشاه ايضا؟.. انه التخلف وهو ذاته الذي اشعل هذه الحرب.. وهو الذي يجعلهم يصرون على استمرارها، رغم كل ما ذاقته شعوبهم من ويلاتها.. فأي حكام اولئك الذين يزجون في كل معركة بعشرات الألوف من الرجال والشيوخ والأطفال حتى سن العاشرة دون تدريب، فتتمزق جثثهم آلافاً آلافاً، ويرى حكام ايران ذلك على شاشات التلفزيون، فلا يرق لهم قلب، بل يروحون يجمعون آلافاً أخرى ليزجّوها في معركة أخرى خاسرة.. ترى ما الذي ينويه هؤلاء الحكام تجاه العراق وهم يقودون ابناء شعوبهم الى هذه المجازر الرهيبة المقززة؟..

أيها الاخوة المؤتمرون، إننا نعتقد أن الأدباء والكتاب العرب ينبغي أن يقولوا للعالم كله.. وللمعتدين على العراق اولا: كفى دما.. وأن يرفعوا الصوت، عاليا ليقفوا الى جانب أهلهم، في البوابة الشرقية للوطن العربي... وان أدباء وكتاب العراق الذين سقط منهم الشهداء دفاعا عن الوطن، لينتظرون بكبرياء وشموخ ان يقف معهم كل الأدباء العرب، بعد ثلاث سنين ونصف من هذه الحرب، التي فرضت علينا فرضا، وبعد أن وقف معهم عدد كبير من الأدباء والكتاب العرب، ومن أدباء العالم وكتابه من الشرق والغرب.

اننا نرى المستقبل المشرق أمامنا كما نرى الشمس في نهارات الصحو.. وان الرجال الذين وقفوا سدا، بصدورهم.. وارادتهم.. وايمانهم بالوطن وحريته ومستقبله فانتصروا لجديرون وقادرون على أن يحفظوا هذا النصر، غير أنهم يرون بعين صاحب الحق ان الحصار الذي واجهته الثورة الفلسطينية.. والمأساة التي حلت بلبنان السابح بدمه، لم يكن لها أن تكون على هذه الصورة المأساوية، لولا استمرار العدوان على العراق..

اننا ونحن نحمل اليكم أيها الاخوة قضية وطننا المقدسة لنشعر بأن قلوبنا تحترق ونحن نرى هذه المأساة المروعة التي تسحق كل يوم شعبنا العربي الفلسطيني والمؤامرات التي تمزق ثورته بعد الانتصارات التي حققتها.. واننا لنشعر بالالم والمرارة، ونحن نرى كل ذلك يجري والعراق مشغول بصد العدوان الشرس. بل اننا نرى العدو الذي يحتل نصف لبنان الآن هو ذاته الذي يغذي استمرار العدوان علينا.. اليس هو الذي باع أسلحة الثورة الفلسطينية التي سلبها الى حكام ايران؟.. وان حكام ايران ضربوا بها رجالنا ومدننا؟..

ان ذلك لم يعد سرا أمام العالم، فقد اعترف الطرفان كلاهما بذلك التعاون العسكري طوال فترة الحرب، علنا وفي أجهزة اعلامها الرسمية.. وتحت غطاء هذه الحرب العدوانية بالذات تجرأ الكيان الصهيوني فوجه الى المفاعل النووي العراقي ضربته..

فهل أمامنا الا أن نرفع صوت الحق والضمير العربي؟.. اعذرونا ايها الاخوة، على هذه الصرخة الواثقة العالية.. فاننا قادمون من هناك، ومعنا رائحة الدم الزكي، الذي ينزف من صدور رجالنا الابطال، وهم يدافعون عن الوطن، في أشرس معركة تخوضها هذه الأيام، قال عنها العدو: انه يريدها فاصلة فقلنا له: فلتكن الفاصلة..

كلمة الوفد السوري:

وألقى الاستاذ علي سليمان كلمة الوفد السوري التالية:

لعل أهم ما يميز مؤتمر الأدباء العرب الرابع عشر أن ينعقد في ظروف عربية، يكاد لا يلتقي فيها غير الأدباء من العرب، فالسياسيون العرب لا يلتقون، والاقتصاديون لا يلتقون، والعسكريون لا يلتقون... لقد باعدت ما بينهم النزاعات الاقليمية وافتقاد الرؤية الصحيحة وانعدام الحس التاريخي، ولم تنفع كل التحديات، وكل الأخطار المتزايدة، وكل أنواع الغزو والقهر والاستهانة في تلاقيهم أو في توحيد مواقفهم، أو في التقريب ما بينهم.

وحدكم أيها الكتاب العرب، أيها الأدباء، أيها المثقفون، ما زلتم تلتقون وتتحاورون وتنسقون، وكأنكم وحدكم تحملون هم الانسان العربي، وطموحه ومعاناته... أو كأنكم وحدكم تبحثون في ركام التناقضات والأحقاد وعوامل التفرقة والتباعد، والأشياء الميتة عما هو حيّ، وعما يوحد ويعزز الارادة والوعي والثقة بالنفس، ويؤكد وحدة الوجدان العربي والمصير العربي.

واذا كان الواقع العربي يحملكم هذا العبء، وهذه المسؤولية، فلأنكم ضمير الجماهير وطليعتها وأقدرها نفاذا الى الجوهري، وأكثرها مناعة وقدرة على الرؤية والتحليل والكشف، فمسؤولية المثقف تزداد بتزايد الأخطار والتحديات، تزداد كلما غامت الرؤية، وانطمست الاتجاهات. صحيح أن المثقف العربي يواجه اليوم واقعا عربيا مريضا يزداد مرضا وشذوذا ولامعقولية يواجه الاقليمية والتجزئة بكل سلبياتها وانعكاساتها ومضاعفاتها، ويواجه التخلف ورواسبه، في العقول وفي السلوك. يواجه الأمية والغزو الثقافي والاعلامي والاستهلاكي، يواجه الانشطار أو الاستلاب، تجاه الموروث الجامد، أو تجاه كل ما هو غريب وأجنبي، ويواجه أنواع القمع المبطن والعلني، ومحاولات تحييد الثقافة والفكر وابعادهما عن كل موضوع هام أو قضية مصيرية، بل يواجه مصادرة الرأي والحوار والمعتقد.

لكن مَنْ غير المثقف العربي يقدر على النهوض بهذه المسؤولية، ومن غيره يعي خطورة هذا الواقع الشاذ ولامعقوليته، أو يقدر على مواجهته؟

أيها الزملاء.

لقد وحدت ما بيننا الثقافة العربية في الماضي، وحدت الوجدان والمشاعر والمواقف والارادة، وأغنت الحياة، وكان لها الفضل الأول في ترسيخ دعائم الحضارة العربية واتساع تأثيرها.

هذه الثقافة الموحدة مهددة اليوم بخطر التجزئة، مهددة بالغزو الثقافي وطغيان الاعلام الاقليمي، والتفكير الاقليمي، والسياسات

الاقليمية، ولعل أهم دور يجب أن ينهض به المثقفون العرب، أن يجعلوا من الثقافة العربية المعاصرة أداة توحد الوجدان والمشاعر والذوق والمواقف، وتحفز على الابداع والابتكار، وقوة تتحدى واقع التجزئة ووسائل الاستلاب، ومحاولات قيادة الفكر ليكون مطية للسياسة، لا قائدا لها، ومسوغا للتجزئة لا مقوضا لمرتكزاتها....

اننا نأمل أن يفلح المثقفون والأدباء العرب من خلال لقاءاتهم وحواراتهم حيث أخفق السياسيون، فينقلوا وحدة موقفهم، ووعي رؤيتهم، الى السياسة العربية لا أن تنتقل الخلافات السياسية العربية العابثة واللامسؤولة الى الساحة الثقافية وأن يردموا بوعيهم وارادتهم ووحدة مواقفهم ما خلفته السياسة العربية من صدوع في بناء الأمة، لا أن يسقطوا أو يضيعوا في هذه الصدوع...

أيها الزملاء والزميلات. واذا كان أهم ما يميز الكاتب أو المثقف هو قدرته على الكشف والاستباق ورؤية ما هو حي في ركام الأشياء الميتة، فيجب أن لا يغيب عنه ما يجري حوله وما يجري الآن من تحولات هامة على الساحة اللبنانية وما تحمله هذه التحولات من آمال ومدلولات بل انه سينجذب الى نقطة الضوء والأمل التي انبثقت من هناك، بفضل تلاحم وتضحيات المناضلين اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين،

تحية لهؤلاء المناضلين الذين أوقفوا بصمودهم وتضحياتهم انتشار كامب ديفيد في الجسد العربي كله، وأربكوا الخطوات المتعجلة باتجاه الاستسلام، وأسقطوا اتفاق أيار وكشفوا عن امكانية الحاق الهزيمة بالغزاة.

تحية للجزائر، البلد الذي أضحى بفضل صموده وتضحيات أبنائه قدوة لكل المناضلين. وتحية لكم أيها الزملاء في مؤتمركم الرابع عشر.

كلمة الوفد التونسي

وألقى الدكتور محمد مواعده كلمة الوفد التونسي، فقال:

ها نحن نجتمع للمرة الثانية، ضمن إطار مؤتمر الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، على أرض الجزائر المناضلة، أرض المليون شهيد، بعد أن كنا اجتمعنا على هذه الأرض الطيبة سنة ١٩٧٥ في مؤتمر اتحادنا العاشر.

واننا اذ نعقد هذا المؤتمر الرابع عشر ومهرجان الشعر السادس عشر، فلا يمكن لنا - نحن الأدباء والكتاب - أن لا نؤكد على مجموعة من الحقائق تتعلق بالظروف التي نجتمع فيها والتي لا يستطيع الأديب العربي الفكاك منها والابتعاد عن التفاعل معها والتأثر بها.... والمطلوب منه التأثير فيها اذا كان حقا ضمير شعبه وضمير أمته. وأول هذه الحقائق ما تعانيه الأمة العربية، وبتزايد متصاعد ومكثف، من تناقضات داخلية العلنيّ منها والظاهر أقل بكثير من الخفيّ وأقلّ خطورة.

وقد ساعدت هذه التناقضات القوى الأمبريالية والصهيونية على المزيد من التوغل في تعميق هيمنتها على وطننا العربي ومحاصرة طاقاته الحية، والسعي الى القضاء على قواه الثورية، وفي مقدمتها الثورة الفلسطينية الرائدة.

وفي هذا الإطار هل هنالك أسلوب أفضل لأعداء هذه الأمة من تعميق الصراع العربي العربي بل تصعيده الى اقتتال عربي - عربي؟

من المعلوم أن القوى الامبريالية والصهيونية لم تستهدف المجتمع العربي ككل في هيكليته وتركيبه فقط بل هي تستهدف أساسا الانسان العربي ذاته. انها تستهدف طريقة تفكيره والقيم التي يؤمن بها والأصول التي يعتمدها في تصوره للحياة وللكون والمصير.

ولذلك نراها، وباطراد، تسخّر كل الإمكانيات لتوجيه الميادين التي تؤثر في هذا الانسان العربي، وفي مقدمتها: الثقافة والاعلام. وفي هذا الاطار يحتل مؤتمرنا هذا أهميته البارزة.

ان اختيار المكتب الدائم لاتحادنا «الادب العربي بين الثقافة والاعلام» موضوعا رئيسيا لهذا المؤتمر اختيار يحمل أكثر من دلالة لمجموعة من العوامل من أبرزها:

١ - دور الأديب العربي في تأصيل الثقافة العربية المعاصرة وحمايتها من مظاهر الغزو، والعمل على جعلها ثقافة تساعد الإنسان العربي على التحرّر والانطلاق، ورفض كل ما يهدد شخصيته الفردية والمجتمعية والحضارية من مسخ وهيمنة واستلاب.

٢ - الخطورة التي يكتسبها الإعلام في عصرنا الحديث والوسائل التقنية المسخرة في توجيهه. ان هذه الوسائل لها أبعادها الخطيرة في توجيه الانسان وتكييف تصوراته ومواقفه وبلورة شخصيته.

٣ - العلاقة التي تزداد تداخلا وترابطا يوماً بعد يوم بين الأدب والاعلام من حيث التأثر والتأثير.

ولا بد من التأكيد - في هذه المناسبة - على أن الأديب لا يمكن له أن لا يولي أهمية خاصة لوسائل الاعلام الحديثة ويستفيد بها لما لذلك من دور ايصال الأدب الى الجماهير العربية مهما اختلفت اصنافها الاجتماعية ومستوياتها.

وإضافة الى هذه العوامل والظواهر نرى أن انعقاد مؤتمرنا الرابع عشر على أرض الجزائر المناضلة سيكسب أعمالنا قيمة فاعلة وصبغة نضالية.

انها قيمة مستمدة من النضال الذي خاضه الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي والاستلاب ومكان يهدف اليه الأجنبي من قضاء على شخصية هذا الشعب البطل العربية والاسلامية.

لقد كان نضال الجزائر اساسا نضالا حضاريا، نضيف الى ذلك ما تبذله الجزائر اليوم من جهود في المجالين الثقافي والاعلامي لحماية الانسان من كل غزو فكري ودعم هويته الوطنية والحضارية.

واسمحوا لي بأن أضيف أننا أيضا - نحن الكتاب والادباء العرب - مطالبون اليوم بأن نستفيد وبكل فاعلية من الاسلوب الذي اتبعه الشعب الجزائري - وما زال - في مختلف مراحل نضاله الحضاري.

إن أسلوب الصرامة في التعامل مع الاشياء والابتعاد عن

التسبّب والتردد في معالجة قضايانا الوطنية والقومية، هو الاسلوب المطلوب. ومن المعلوم بداهة ان الكاتب العربي لا يستطيع القيام بدوره المطلوب الا باكتساب المزيد من الحرية في التعبير والمزيد من الممارسة الديمقراطية السليمة.

ان الواقع الذي يعيشه الكاتب، العربي عموما مليء بالمكبّلات والعوائق، وهو ما يفرض عليه نضالا متعدد الوجهات والاساليب والمستويات.

ومن أبرز مظاهر النضال - في نظرنا - أن يجهد الاديب والكاتب العربي نفسه في تجديد سلاحه «الكلمة»، التجديد في الأسلوب وفي الإطار.

إن كثيراً من نصوصنا وبياناتنا أصابها الصدأ وفقدت كل تأثير لكثرة ما عرفته من اجترار، وكذلك لما اصاب مضامنها من غموض وتناقض.

إننا في اتحادنا - اتحاد الكتاب التونسيين، نطرح على أنفسنا هذا التحدي، ونعتقد أنه مطروح وبكل حدة في المستوى العربي وعلى مؤتمرنا هذا بالذات... ما دامت الكلمة هي من ابرز وسائل الاعلام والثقافة رغم وجود وسائل اخرى حديثة وفاعلة.

اننا نعتقد ان قيمة مؤتمرات الاتحاد العام للادباء والكتاب العرب تكمن في مدى قدرتها على تجاوز الرضى بالواقع القائم الى الحيرة والتساؤل.

ونعني الحيرة والتساؤل اللذين يؤديان الى تجاوز المعوقات والتناقضات القائمة.

فهل سيكون مؤتمرنا هذا من مؤتمرات التجاوز؟.

هل سيكون مؤتمرنا هذا في مستوى المرحلة الدقيقة التي تمر بها أمتنا العربية؟

هذا ما سنعمل من أجله. ونعتقد ان الاخوة المشاركين من مختلف الأقطار العربية سيقومون بذلك أيضا.. حتى نكون بحق ضمير شعبنا وأمتنا!

كلمة وفد البحرين

وألقى الاستاذ علي الشرقاوي كلمة وفد البحرين:

أنقل لكم تحيات أدباء البحرين ونتمني أن يكون هذا اللقاء مناسبة جديرة بمراجعة العديد من القضايا والمشكلات، المتصلة بطبيعة مثل هذا التجمع الادبي، والقادرة على النظر في امكانية اخراج الاتحاد العام من متاهات كثيرة، شغلته عن مهماته الرئيسية.

إننا نشعر بأهمية أن يكون الاتحاد مؤثراً في الواقع العربي، وليس تابعاً لمتغيراته وتقلباته. ففي الوقت الذي يفقد فيه الاديب العربي يوماً بعد يوم مساحات صبوته، وحركة قلمه، يستوجب على الاتحاد أن يعتني أولا بتحقيق الفرص التي تحفظ للأديب حقه في الكتابة والنشر والاتصال بجوهر مهمته في الحياة.

من هنا يأخذ الاتحاد مبرر وجوده في الواقع العربي بمعزل عن كافة الاعتبارات المرتهنة بمتغيراته السياسة اليومية، والتي تستهدف تجيير الفعاليات الادبية والثقافية لمنظوراتها وخططها. فمن الضروري أن نكفّ عن التعامل مع العمل الأدبي باعتباره وسيلة اعلامية مبذولة للمزايدات السياسية. وعلينا أن نتعامل مع الادب برؤية حضارية، وخاصة من خلال كونه ابداعاً ينهض بدوره الحضاري في اتصاله بالروح الانسانية، وفي تفاعله مع حركة الواقع العربي وتجلياتها المختلفة.

ونعتقد أنه ليس أمام الاتحاد العام للادباء العرب سوى أن يكرّس مثل هذا الموقف، ويعمل بكافة جهوده على تحقيق استقلالية الاديب، وحرية اختياره، ورفع جميع أشكال الوصاية الاعلامية والفكرية المفروضة عليه، ونحن نثق كثيراً بأن الاتحاد العام لن يتسنى له كل ذلك الا اذا تمكن من النجاة باستقلاله عن سطوة السياسات اليومية السائدة، وارتباطه بمهماته الاساسية ورؤيا المستقبل.

• • •

وألقى كل من الاساتذة الدكتور هاشم ياغي (الاردن) وعلي مصطفى المصراتي (الجماهيرية) والدكتور محمد المهيني (الكويت) والأخضر السائحي (الجزائر) كلمات قصيرة مرتجلة.

• • •

هذا وقد عالج المؤتمر ثلاثة محاور: الأدب بين الثقافة والإعلام، ومشكلات الترجمة وادب الاطفال.

ويسرّ «الآداب» التي نشرت ابحاث جميع مؤتمرات الادباء العرب السابقة، على سبيل التوثيق، ان تنشر في هذا العدد أهم أبحاث المؤتمر العام الرابع عشر.